مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

الظواهر النحوية غير القياسية في ديوان "إلا الثواني الخالدة" للشاعرة سهام العريشي

أسماء علي سعد الموزان*أستاذ النحو والصرف المساعد، قسم اللغة العربية، كلية التربية، الخرج، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز – البريد الالكتروني: asma9296@gmail.com – 0504173931

المستخلص:

يناقش البحث بعض القواعد النحوية من خلال عينة لغوية شعرية معاصرة، تشكلت منها بعض الظواهر النحوية غير القياسية، أسهمت في إبراز التجربة العاطفية واللحظات التي خلدتها الحياة بآلامها وآمالها في نفس الشاعرة السعودية سهام العريشي؛ من خلال ديوانها "إلا الثواني الخالدة"، وأظهر البحث كيفية توظيف الظواهر النحوية التي برزت في بعض المسائل التي أقرها النحويون أو اختلفوا عليها في باب الضمير، والموصول، والفعل المضارع، والاستفهام، والنداء؛ والاستفادة منها في توجيه اللفظ لخدمة المعنى، وعرض البحث هذه الظواهر على آراء النحويين وقواعدهم، وبيّن مداها اتفاقاً ومخالفةً لهم، وحاولت الباحثة تلمس الأبعاد الدلالية لهذه الظواهر في المواضع التي خرجت فيها الشاعرة على مقتضى القاعدة النحوية، واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذه الظواهر في ديوان الشاعرة، وخلص البحث إلى أن قواعد اللغة وأحكامها النحوية لم تكن لتصبح دائرة مغلقة على مستخدمها، وأن حياد الشاعرة بتلك الأحكام والقواعد عن ظاهرها لتوصل ما يعتمل في نفسها إلى المتلقي يعد من مظاهر قوة شاعريتها، وهذا يؤكد حيوية النحو العربي، وقدرة الألفاظ فيه على أداء المعاني،وعدم اقتصاره على الشكل والإعراب.

الكلمات المفتاحية: الضمير–الموصول–الفعل–الاستفهام–النداء–الأبعاد الدلالية.

Abstract:

this research discusses a collection of grammatical rules through a linguistic sample from a contemporary poem, in which non-standard grammatical phenomena are formed and used. These grammatical phenomena helped in highlighting the emotional experience and moments eternalized by life, through its pains and hopes, within the soul of the Saudi poet Seham Al-Areshi, as demonstrated in her poem collection, "Except the Eternal Second". This research demonstrated how the poet used grammatical phenomena, which are manifested in certain debatable areas, such as pronouns, relative pronouns, present tense verbs, question formation, and vocatives. The research also demonstrated how the poet employed these grammatical phenomena for formulating the text to convey the meaning. Moreover, the research compared these grammatical phenomena against grammarists' opinions and rules and explained the extent of the grammatical phenomena's conformity or disagreement with them. The researcher attempted to examine the semantic dimensions of these phenomena in the positions in which the poet violated grammatical rules. The research adopted the analytical descriptive approach for investigating the grammatical phenomena in the poet's poem collection. The research concluded that the Arabic language and its grammatical rules are not of a rigid nature; in fact, the poet's apparent violation of these rules to convey the intended meaning to the reader manifests the potency of her style. This confirms the flexibility of Arabic grammar and the ability of words,

through using it, to convey the meanings. This also confirms that Arabic grammar is not confined to formation and parsing,
Keywords: pronoun – relative pronoun - verb - question formation – vocative - semantic dimensions.

المقدمة:

مشكلة البحث: تمثل لغة الشاعر بوتقة يصهر داخلها تجربته الشعرية، وقالب يصب فيه معانيه التي تشكل ما يدور في مخيلته، وتظهر قوة الشاعر اللغوية في قدرته على استعباد الألفاظ لخدمة المعاني التي يقصدها؛ لكن الشاعر قد يخرج – مختارًا أو مضطرًّا– باللفظ عن مساره النحوي القياسي، ويدخل به في مسارات أخرى؛ فتتغير فيها ملامحه التركيبية أو الإعرابية، فتنشأ تبعًا لذلك أساليب تعبيرية مخالفة للقياس النحوي، وقد يكون بعضها –كما ظهر في هذا البحث– أسلوبًا جديدًا في الاستعمال النحوي، مما يدعو الباحث إلى الوقوف على هذه الأساليب وإخضاعها للدراسة، للتعرف على الأسباب التي يمكن أن يخرج الشاعر باللفظ من أجلها في مسارات غير قياسية.

أهمية البحث وأهدافه: يتعرض هذا البحث للظواهر النحوية في ديوان الشاعرة سهام العريشي، الموسوم بعنوان "إلا الثواني الخالدة"، حيث شكلت الظواهر النحوية فيه موضوعًا للبحث؛ لما أضفته تلك الظواهر على الألفاظ والتراكيب من أبعاد دلالية تمثلت فيها مقاصد الشاعرة.

تكمن أهمية البحث في تقديم رؤية تحليلية وتفسيرية لبعض الظواهر النحوية التي يخرج بها الشعراء عن مسار القاعدة النحوية، و**يهدف إلى** تأكيد مرونة النحو العربي، وفتح الباب لاستخدامات لغوية معاصرة وجديدة، وإثراء المكتبة النحوية بشواهد جديدة؛ في محاولة لتوضيح أثر اللفظ في إيصال المعنى، كما يهدف البحث إلى إبراز هذا الديوان المتميز على الساحة اللغوية، وإظهار تمكن الشاعرة، واقتدارها اللغوي على تطويع اللفظ بما يخدم المعنى، مظهرة بذلك استفادتها من الأدب الانجليزي –وهو مجال تخصصها الأكاديمي– في نسج الشعر العربي كما يتضح من إجابتها عن: ماذا أخذ الشعر العربي من الأدب الانجليزي؟ ضمن حوار مع الشاعرة نشرته مجلة اليمامة، وأجرته (اليامي: 2018م)؛ حيث قالت: "التركيز على الصورة بدلًا من الحشو اللفظي الزائد... الشاعر الحقيقي يقرأ في أدب الآخر ولا بد أن يتأثر به".

لذا كان من أهداف البحث دراسة هذا الديوان دراسة نحوية تطبيقية للكشف عن المعاني التي يمكن أن تفسر خروج الشاعرة باللفظ عن القياس النحوي في النص الشعري المعاصر.

منهج البحث: اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي.

حدود البحث: تناول البحث الظواهر النحوية غير القياسية، المتعلقة بمسائل نحوية أقرها النحويون، أو اختلفوا عليها؛ من خلال عينة لغوية معاصرة تمثلت في ديوان إلّا الثواني الخالدة (العريشي: 2017م) وهو عبارة عن مجموعة شعرية صادرة عن الدار العربية للعلوم ناشرون؛ وتمثلت هذه الظواهر في الأبواب النحوية: (الضمير، الموصول، الفعل المضارع، الاستفهام، النداء).

الدراسات السابقة: دراسة الظواهر النحوية غير القياسية في ديوان إلا الثواني الخالدة للشاعرة سهام العريشي دراسة أكاديمية – على حدود علمي– لم يسبق إليها أحد من الباحثين، كما لم تقع الباحثة على دراسة أكاديمية لهذا الديوان في مسائل أخرى.

ومن أجل ذلك سلك البحث **الإجراءات الآتية:**

رصد الأبيات الشعرية التي شكلت ظاهرة نحوية في الديوان.

وصف الظاهرة نحويًّا، وعرضها على قواعد النحويين وآرائهم.

تقديم رؤية تحليلية وتفسيرية لتوضيح الأبعاد الدلالية التي يمكن أن تكون سببًا في الخروج بها على الظاهر.

خطة البحث: وقد بنيت خطة البحث على **مقدمة** فيها مشكلة البحث، وأهميته وسبب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، وإجراءاته، يليها **المبحث الأول** وفيه تعريف مختصر بالشاعرة وديوانها، **المبحث الثاني**، ويشمل الظواهر النحوية غير القياسية في الديوان: أ-وقوع الضمير المتصل بعد إلَّا الاستثنائية. ب-وضع الضمير المتصل بدل النفس. ج-عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبةً. د-مجيء صلة (أل) جملة فعلية. هـ-حذف الاسم الموصول وإبقاء صلته. و-ترك جزم الفعل المضارع المسبوق بلمَّا الجازمة. ز- حذف همزة الاستفهام. ح-دخول أداة النداء على ضمير الرفع للمخاطب.

ثم **الخاتمة** وفيها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.

المبحث الأول: التعريف بالشاعرة وديوانها إلَّا الثواني الخالدة:

سهام أحمد يحيى العريشي، شاعرة وقاصة ومترجمة سعودية من منطقة جازان، نشأت في جازان، تعمل محاضرة في تخصص الأدب الأمريكي الحديث، قسم اللغة الانجليزية بكلية صامطة، جامعة جازان، ومن أعمالها غير الديوان موضوع الدراسة: "تشبه رائحة أمي.. تشبه شجر الجنة"، (2014)؛ مجموعة قصصية صادرة عن نادي جازان الأدبي والدار العربية للعلوم ناشرون، و"الشاعر"، (2019)؛ رواية صادرة عن نادي جازان الأدبي والدار العربية للعلوم ناشرون.

استدعت الشاعرة في هذا الديوان ذكرياتٍ ولحظاتٍ وثوانَي لا تنسى في حياة الأنثى الشاعرة، لتعبر بها عن الجانب المأساوي في التجربة العاطفية، الذي يمكن قراءته في ثمانٍ وعشرين قصيدة هي مجموع قصائدها في هذا الديوان، وتبدأ أول ظاهرة نحوية في الديوان من عنوانه؛ حيث يتكون من تركيب نحوي استثنائي مبدوء بـ(إلَّا) الاستثنائية، يليها المستثنى، الذي عبرت به عن مضمون الديوان، وهو الثواني التي لا تُنسَى؛ لذا كان الوصف المناسب لها هو (الخالدة)، ويظهر لنا هذا ذكاء الشاعرة بوضع العنوان في إطار أسلوب الاستثناء الذي حذف فيه المستثنى منه مع جملته ؛ ويمكن تقديرها بقولنا: (كلُّ شيءٍ في حياة الأنثى يمكن نسيانه)، لتُشعِر المتلقي من خلاله بحقيقة ثبتت لديها بالتجربة بأن ما يمكن نسيانه يمكن حذفه؛ ولا يبقى إلا الثواني التي لا تنسى؛ لذا كان وصف المستثنى بـ: (الثواني الخالدة) مُقرًّا لحقيقة أخرى ثابتة بالتجربة أيضًا؛ وهي أن ما لا ينسى هو الذي يثبت فقط، فكان حذف المستثنى منه بجملته والاكتفاء بذكر أداة الاستثناء والمستثنى أسلوبًا نحويًّا موفقًا في التعبير عن موضوع الديوان.

ويحتوي ديوان "إلا الثواني الخالدة" أيضًا على ظواهر صرفية متنوعة أسهمت في إثراء معانيه، مثل: تسكين نون النسوة، حذف العلامة الإعرابية، العدول بالمفرد عن المثنى، العدول بالجمع عن المفرد، صرف الممنوع من الصرف، تثنية صحراء على (صَحْرَاوَيْن)، تنزيل العاقل منزلة غير العاقل، قصر الممدود، تذكير المؤنث.

إلا أن البحث خصص هذه الدراسة للظواهر النحوية، ولم يتعرض للظواهر الصرفية في الديوان؛ على أمل دراستها في عمل آخر، والبحث عن الأبعاد الدلالية التي تكمن وراءها.

المبحث الثاني: ما جاء على غير القياس في ديوان إلا الثواني الخالدة، ويشمل:

أ-وقوع الضمير المتصل بعد "إلا" الاستثنائية:

يرى جمهور النحويين أن الضمير المتصل (الكاف والهاء والياء) هو الذي لا يبدأ به في الكلام، ولا يقع بعد "إلا" الاستثنائية في اختيار الكلام، فلا يقال: (ما أكرمتُ إلَّاكَ)، يقول ابن مالك:

"وذو اتصالٍ منه ما لا يُبتَدا ولا يلي إلا اختيارًا أبدا" (ابن عقيل: 2002، ج1/ 87).

وقد جاء شذوذًا في الشعر (السيوطي: 1998، ج1/ 191)؛ كقول الشاعر (الشنقيطي: 1999، ج1/ 84):

وما علينا –إذا ما كنتِ جارَتَنا– أنْ لَا يُجاوِرَنا إلّاكِ دَيَّارُ.

وأجاز جماعة ذكر منهم السيوطي في الهمع ابن الأنباري وقوع الضمير المتصل بعد إلّا اختيارًا. (السيوطي: 1998، ج1/ 192)

وقد عدَّ ابن عصفور هذه المسألة في الضرورات الشعرية (ابن عصفور: د.ت، 262).

ووقع الضمير المتصل (كاف الخطاب) بعد إلّا الاستثنائية في ديوان الشاعرة؛ حيث نراها تصور تجربة عاطفية قتلها الصمت والانتظار والتردد، وامتطاء الخوف، وتصديق النميمة والوشاية، وتدور أحداثها في حوار عاطفي تصدرت سياقاته (لو) التي تفيد امتناع حصول الفعل، وامتلأت بالذكريات الممزوجة بالدموع، في قصيدة بعنوان "لو أَنَّني..!"؛ حيث تقول مصورة هذه التجربة:

"كُنْتُ الذي نَهَرَ النَّوارِسَ كُلَّها

إلّاكِ نَورَسَةَ البُحُورْ" (العريشي: 2017، 24).

وكان القياس أن يجيء ضمير النصب منفصلًا فتقول: إلّا إياكِ، ولكنَّ الوزن العروضي لتفعيلة بحر الكامل الذي نظمت القصيدة على نهجه يتعارض مع قياس النحويين؛ إذ إن الميزان العروضي للبيت هو: (كُنْتُ لَّذِي// نَهَرَ نَّوَا// رِسَ كُلَّهَا: مُتَفَاعِلُن// مُتَفَاعِلُن// مُتَفَاعِلُن)، (إِلَّاكِ نَو// رَسَةَ لْبُحُوْر: مُتَفَاعِلُن// مُتَفَاعِلُن// مُتَفَاعِلَانْ)، ولو جاء الضمير منفصلًا بحسب القياس لأدى إلى الإخلال بالتفعيلة.

وإلى جانبه يظهر للباحثة أن مجيء الضمير متصلًا بعد (إلا) الاستثنائية خلاف القياس تتوارى خلفه أبعاد دلالية عند التأمل في القصيدة؛ فمحور القصيدة يدور حول تجربة عاطفية أظهرت فيها الشاعرة شدة اتصال المشاعر بين الطرفين؛ الأنثى والرجل، إلى درجة أصبح فيها اتصال المشاعر كاتصال النورس بالبحر، وحبه للغوص فيه، فكان التعبير بالضمير المتصل (كاف الخطاب للأنثى) بعد أداة الاستثناء (إلا) بمثابة الشفرة التي يمكن للقارئ أن يستشعر من خلالها قوة درجة الاتصال بين الطرفين وقرب المشاعر؛ إلى الحد الذي كان فيه الطرف الآخر (الرجل) يعتبر جميع الإناث (نوارس) يحاولن الاصطياد في بحره، فكان يزجر ويطرد كل (أنثى) تحاول الاقتراب منه، باستثناء واحدة هي في نظره (نورسة البحور).

ب– وضع الضمير المتصل بدل النفس: وهو مما عده ابن عصفور من ضرائر الشعر (ابن عصفور: د.ت، 261–262)، وذكر ابن هشام أنه "لا يتعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل في غير باب ظَنَّ وفَقَدَ وعَدِمَ، لا يقال (ضَرَبْتُنِي) ولا (فَرِحْتُ بِي)" (ابن هشام: 2003، 167)، وقال مستسهلًا وروده في الشعر: "ولا يحسن تخريج ذلك على ظاهره، كما قيل في قوله:

قد بِتُّ أَحْرُسُنِي وحدي ويمنعُنِي صوتُ السِّباعِ به يَضْبَحْنَ والهامِ

لأن ذلك شعر، فقد يستسهل فيه مثل هذا" (ابن هشام: 2003، 167).

وقد وضعت الشاعرة الضمير المتصل بدل النفس في عدة مواضع من الديوان؛ حيث وردت هذه المسألة في سياقين شغل فيهما الضمير المتصل (ياء المتكلم) محلين من الإعراب؛ الجر بحرف الجر والنصب على المفعول به، ففي قصيدة "أغنياتٌ للحَنين" تقول سهام العريشي:

"لِأُعِدْ لِي..

أحتاجُ اسمًا باتساعِ الرَّملِ في عَيْنِ المسافرِ والغريبْ.

أحْتاجُ اسمًا لا يغِيبْ" (العريشي: 2017، 13).

وتمضي في القصيدة مكررة السياق "لِأُعودَ لِي"، إلى أن تقول:

"أَحْتَاجُنِي.." (العريشي: 2017، 14).

ويتكرر السياقان في النهاية: "لِأُعودَ لِي.. أَحْتَاجُنِي.." (العريشي: 2017، 16).

وفي قصيدة "لَم أَعُدْ أَعْرِفُنِي" تقول:

"ما عُدتُ أَعْرِفُنِي..

ولا أمشي إلى قلبي بلا حزنٍ ولا وَجِلِ

وأضْحَتْ كُلُّ شَمسٍ مشْقَةْ (العريشي: 2017، 51).

ما عُدْتُ أَعْرِفُنِي

وهل لَملامِحي مِن واجِهَةْ؟

صمتٌ على صمتٍ

وروحِي في جُروحِي تائِهَةْ" (العريشي: 2017، 52).

وتقول:

"إني لَأَجْهَلُ يا أَبِي حتى حروفَ اسمي القديمْ!

وأَظُنُّ أَنِّي فَجْأَةً – أَحْيا حَياةَ الآخَرِينَ

السَّاكِنِين.. المطْرِقِين.. اليائِسِينْ

وأَخَالُ، حِينَ أُدَقُّ كالمسْمارِ في رَأْسِ الجِدَار، بِأَنَّنِي لَسْتُ أَنا" (العريشي: 2017، 53).

وفي قصيدة "لَو" تقول:

"لَو أَنَّنِي عَرَفْتُ كيف أُنْتَهِي مِنْ غيرِ أَنْ أَضِيعْ

وكيفَ أَسْتَرِدُّنِي

مِنْ مخلبِ المَنافِي

وطَعْنَةِ الصَّقِيعْ" (العريشي: 2017، 79).

وكان الأصل في جميع ما سبق أن تقول: "لِأعودَ لِنَفْسِي، أحتاجُ نَفْسِي، ما عُدتُ أعرفُ نَفْسِي، بِأَنَّ نَفْسِي ليستْ أنا، وكيف أستردُّ نَفْسِي"؛ إلا أن وضع الضمير المتصل (ياء المتكلم) بدل النفس أعطى إشارة معنوية إلى مدى الضياع الذي أصاب الشاعرة، إلى حد ضياع نفْسها منها؛ وفقدان الذات القديمة التي تاهت في الحزن والوجل، وآلمتها جراح الحياة، وأغرق الصمت ملامحها فأضاعت حتى حروف اسمها، ولم تعد قادرة على استرداد نفسها وانتشالها من الصورة الجديدة الصامتة، والضائعة، والساكنة، واليائسة، فلعل في وضع الضمير المتصل (الياء) بدل النفس دلالة على ضياعها وعدم القدرة على استردادها، كما أن ياء المتكلم مدّ، وهي اختصار للنَّفس، وفيها استدعاء للتراكمات النفسية التي تعاني منها الشاعرة بسبب حالة ضياع الذات التي تعيشها.

ج- عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة:

ويقصد به ضمير الغيبة الذي لا بد له من مرجع يعود إليه، فيبين ما يراد به، والأصل أن يعود الضمير على متقدم، وتقدمه على ثلاثة أنواع: إما أن يتقدم في اللفظ والرتبةنحو: أكرم زيدٌ أخاهُ ، أو يتقدم في اللفظ دون الرتبة، نحو: أكرم زيدًا أخوهُ ، أو يتقدم في الرتبة دون اللفظ، نحو: أكرم أخاهُ زيدٌ.

أما عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة فنظام اللغة العربية في بناء الجملة وترتيب كلماتها يمنعه إلا في سبع مسائل ذكرها ابن هشام، كضمير الشأن نحو**{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}** [الإخلاص:1]، وكما إذا كان الضمير مجرورًا بربَّ، مفسرًا بتمييز نحو: (ربَّهُ رجلًا أكرمت)، وغير ذلك من المواضع (ابن هشام: 2003، 562-568).

وقد عاد الضمير على متأخر لفظًا ورتبة في ديوان "إلا الثواني الخالدة"؛ حيث أُبدِل الاسم الظاهر المفسِّر من الضمير، تقول الشاعرة في قصيدة "لو أنني":

"لو أنني جَرَّرْتُهُ هذا الشُّعُورْ!

ونفختُ فيه النَّارَ،والجمرَ العَصِيَّ على التَّرَمُّدِ

والعصيَّ على الظُّهُورْ" (العريشي: 2017، 24).

وتقول في قصيدة "تساؤلات":

"صِدقًا أراكَ

على حَوافِ الصُّبحِ أُرسِمُهُ مَداكْ" (العريشي: 2017، 62).

حيث إن ضمير الغيبة (الهاء) المتصل بالفعل وقع في محل نصب مفعول به، والاسم الظاهر الذي يفسره وهو (هذا الشعور، مَداك) بدل منه؛ أي: بدل من المفعول به، والبدل متأخر لفظًا ورتبة عن المبدل منه، وهذا يتماشى مع ما استثناه النحويون من مسائل في عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة (ابن هشام: 2003، 566).

وإضافة إلى توافق هذا الموضع مع المسوِّغ النحوي لعود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة ترى الباحثة أن تقديم ما فيه الإبهام كان له أثر في المعنى؛ يتمثل في التشويق إلى ذكر المفسِّر الظاهر بعده، وإثارة الذهن لمعرفته.

د-مجيء صلة (أل) جملة فعلية:

يقول ابن مالك:

"وصفةٌ صريحةٌ صلةُ ألْ وكونها بمعرَبِ الأفعالِ قَلّْ" (ابن عقيل، 2002: ج1/ 148).

يرى البصريون وجمهور النحويين أن (أل) الموصولة لا توصل إلا بالصفة الصريحة، وهي الاسم المشتق الذي يشبه الفعل في التجدد والحدوث شبهًا صريحًا، أي: قويًّا خالصًا، بحيث يمكن أن يحل الفعل محله، ولم تغلب عليها الاسمية الخالصة (الفوزان: 2009، ج1/ 116)، والصفة الصريحة التي تدل على معنى وصاحبه، وهي اسم الفاعل، نحو: (الضَّارب)، واسم المفعول، نحو: (المضروب)، وأمثلة المبالغة، نحو: (السَّبَّاقون)، واختلف في الصفة المشبهة، والجمهور على أنها لا تكون صلة لأل، وحين تتصل بها فهي مُؤَوَّلة لا موصولة، لأن الأصل في الصلات للأفعال، والصفة المشبهة بعيدة الشبه بالفعل من حيث المعنى، ويرى قوم أنه يجوز أن تكون الصفة المشبهة صلة لأل لشبهها بالفعل من حيث العمل، وإن خالفته في المعنى، وأجمعوا على أن أفعل التفضيل لا يكون صلة لأل، لأنه لم يشبه الفعل لا من حيث المعنى ولا من حيث العمل (ابن مالك: 1990، ج1/ 200- 203)، (ابن هشام: 2003، 60-61)، (ابن عقيل: 2002، ج1/ 148- 152).

وقد شذ وصل (أل) بالفعل المضارع، وهو مخصوص عند البصريين بالضرورة الشعرية خلافاً للأخفش (ابن هشام: 2003، 61)، (العيني: 2005، ج1/ 70)، ومنه قول الشاعر:

مَا أنتَ بالحَكَمِ التُّرضَى حُكُومَتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذي الرأيِ والجَدَلِ (الشنقيطي: 1999، ج1/ 157).

ويرى الكوفيون جواز دخول (أل) بمعنى الذي على الفعل المضارع، ولم يقتصروا بذلك؛ بل جوزوا دخولها على الفعل الماضي أيضًا؛ فقد نقل أبو البركات الأنباري عنهم في مسألة (القول في علة بناء "الآن"): "ذهب الكوفيون إلى أن "الآن" مبني؛ لأن الألف واللام دخلتا على فعل ماضٍ من قولهم: "آنَ يَئِينُ" أي حَانَ، وبقي الفعل على فتحته... فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن الألف واللام فيه بمعنى الذي، ألا ترى أنك إذا قلت: "الآن كان كذا" كان المعنى: الوقت الذي آنَ كان كَذَا، وقد تُقام الألف واللام مقام الذي لكثرة ا لاستعمال طلًبا للتخفيف، قال الفرزدق:

ما أنتَ بالحَكَمِ التُّرضَى حكومَتُهُ ولا البليغِ ولا ذي الرأيِ والجَدَلِ

أراد: الذي تُرضَى، وقال الآخر:

بلِ القومُ الرَّسُولُ اللهِ فيهم هُمُ أهلُ الحكومةِ مِن قُصَيِّ

وقال الآخر:

يقولُ الخَنَا وأَبْغَضُ العُجْمِ ناطِقًا إلى ربِّنا صوتُ الحِمارِ اليُجَدَّعُ

ويَستَخْرِجُ اليربوعَ مِن نافِقائِهِ ومِن جُحرِهِ بالشَّيحَةِ اليَتَقَصَّعُ

أراد: (الذي يُجَدَّعُ، والذي يَتقصَّعُ)، فكذلك ها هنا في الآن، وبقي الفعل على فتحته" (الأنباري: 1998، ج2/ 520-521-522).

فهم يجيزون دخول (أل) بمعنى الذي على الجملة الفعلية من غير ضرورة؛ قال الأشموني: "هو مخصوص عند الجمهور بالضرورة، ومذهب الناظم جوازه في الاختيار وفاقًا لبعض الكوفيين" (الأشموني: 1998، ج1/ 151).

ويبدو أن ابن مالك يوافق الكوفيين في عدم اختصاص (أل) الموصولة بالصفة الصريحة، وجواز دخولها على الفعل المضارع كما في الأبيات التي احتج بها الكوفيون، ولم يقصره على الشعر؛ قال ابن مالك: "وتوصل بصفة محضة، وقد توصل بمضارع اختيارًا، وبمبتدأ وخبر أو ظرف اضطرارًا" (ابن مالك: 1967، 34).

ويؤكد ابن مالك على أن مجيء المضارع صلة لأل ليس من الضرورة بأنه كان في الإمكان أن يقول: (ما أنت بالحكم المُرْضِي حكومته)، فإذ لم يفعل ذلك مع استطاعته ففي ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار (ابن مالك: 1990، ج1/ 202)، (ابن مالك: 2000، ج1/ 126- 127).

وقد بدت هذه الظاهرة عند الشاعرة في ديوان "إلا الثواني الخالدة" غير متوافقة مع ما ذكره الجمهور في صلة (أل)، فلم تأتِ صفة صريحة؛ بل وردت جملة فعلية في صورتين مخالفتين للتركيب النحوي القياسي في صلة (أل):

الصورة الأولى جاءت فيها صلة (أل) جملة فعلية فعلها مضارع، والصورة الثانية جاءت فيها صلة (أل) جملة فعلية فعلها ماضٍ؛ حيث تقول في قصيدة "أغنياتٌ للحَزِينْ":

"أحتاجُ اسمًا لا يَغِيبْ

اسمًا يُهَجِّينِي السؤالَ المرَّ:

مَنْ سَرَقَ الفراشةَ مِنْ نَمي؟

مَنْ شَرَّدَ الأطفالَ في صَدْرِي؟

وَمَنْ تَرَكَ الوُرودَالتَسْتَغِيثُ بِلا مُجِيبْ؟" (العريشي: 2017، 13).

وفي قصيدة أخرى بعنوان "النَّشِيدُ المخْمَلِي" تقول:

"وَنَفْتَ يَداكَ كبِ ٌرعُمْنِي يُ جَلِّلَاذِي بالطُّ يُ وفِ وبالشَّذَى

هذي..

يَداكَ الَعَّمْتَ نِي الُحبَّ والنَّجْوى

وَأَشْرِعَةَ النُّجُومِ

فَكَيْفَ لِي أَلَا أكونَ أنا المَسَاءْ؟" (العريشي: 2017، 45).

وترى الباحثة أن الشاعرة قد راعت بذلك تناسق الكلمة مع النظام الموسيقي في البيت؛ إذ إن الإتيان بصلة أل صفة صريحة في الموضعين يؤدي إلى الإخلال بالنظام الموسيقي في البيت، فتنفر منه حاسة المتلقي.

وعلى الرغم من مخالفة الشاعرة للتركيب النحوي في هذين الموضعين إلا أن المتلقي يستطيع أن يلمح في سياقهما الدلالة على الحدوث والتجدد؛ كما أن في استخدام الجملة الفعلية صلة لأل استثارة للمتلقي بصيغة إيقاعية ذات بعد دلالي؛ حيث اختارتها الشاعرة لتُناغِم بين الكلمات المتجاورة.

ومن النحويين من لم يكن راضيًا عن هذا الاستعمال؛ ودعا إلى تركه وهجرانه، معللًا ذلك بقلة المأثور منه، ونفور الذوق البلاغي الحديث من استعماله، وانصراف الكثرة عنه قديمًا وحديثًا. (حسن: 2004، ج1/ 354)

والرأي الأشهر في هذه المسألة أن تكون الصفة الصريحة مع مرفوعها صلة أل خاصةً، فلا يقعان صلة لغيرها، ولا تكون (أل) اسمًا موصولًا مع غيرهما (حسن: 2004، ج1/ 353)، ومنهم من اعتبرها مُعرِّفة (ابن مالك: 1990، ج1/ 200- 203) واستدل النحويون ومنهم ابن برهان على موصولية الألف واللام بدخولها على الفعل، قال ابن مالك: "واستدلاله قوي؛ لأن حرف التعريف في اختصاصه بالاسم كحرف التنفيس في اختصاصه بالفعل، فكما لا يدخل حرف التنفيس على اسم، لا يدخل حرف التعريف على فعل، فوجب اعتقاد الألف واللام في: التُّرضَى، واليُجَدَّع... أسماءً بمعنى الذي، لا حرف تعريف" (ابن مالك: 1990، ج1/ 201- 202).

وينظر ابن مالك إلى (أل) الموصولة نظرة مساواة بالموصولات الاسمية؛ وهي أنها تقتضي أن توصل بما توصل به أخواتها من الموصولات الاسمية؛ أي: بالجمل الاسمية والجمل الفعلية والظروف، ولكنها شذَّت من ذلك لتناظرها اللفظي مع (أل) المعرِّفة؛ لذا جعلوا صلتها ما هو جملة في المعنى ومفرد في اللفظ صالح لدخول المعرفة عليه، وهو اسم الفاعل وشبهه من الصفات، وحتى لا يقع الالتباس والوهم بين (أل) المعرِّفة والاسم الموصول أدخلوها على الفعل المشابه لاسم الفاعل وهو المضارع، فكان حاملهم على ذلك التنصيص على مغايرة المعرِّفة؛ قال ابن مالك: "فلما كان حاملهم على ذلك هذا السبب، وفيه إبداء ما يحق إبداؤه، وكشف ما لا يصلح خفاؤه، استحق أن يجعل مما يحكم فيه بالاختيار ولا يخص بالاضطرار، ولذلك لم يَقِلّ في أشعارهم، كما قلَّ الوصل بجملة من مبتدأ وخبر" (ابن مالك: 1990، ج1/ 202).

فأصبحت المسألة عنده أن (أل) من علامات الأسماء الفارقة بين الأفعال والحروف.

ولعل استعمال الشاعرة الجملة الفعلية صلةً لأل -وإن بدا مخالفًا للقياس النحوي، وجديدًا على الاستعمال الحديث- يعلل بما ذكره ابن مالك، ويساند رأيه الذي انفرد به في هذه المسألة، ويكون إضافة جديدة تضاف إلى الشواهد الشعرية القديمة في هذه المسألة.

ومن النحويين –وهو الزمخشري– من يرى أن (أل) إنما هي بقية (الذي)، بعد أن حذفت الذال والياء وإحدى اللامين منها، وبقيت الألف واللام تخفيفًا، وللزومها فيها وكثرة الاستعمال (الزمخشري: د.ت، 143)، و (الاستراباذي: د.ت، ج3/ 93)، (المالقي: 2002، 163)، (أبو حيان: 1998، ج2/ 1014)، (المرادي: 1992، 201). والحذف عندهم ضرورة (أبو حيان: 1998، ج2/ 1014).

قال أبو سعيد السيرافي: "ومن أقبح الضرورات جعل الألف واللام بمعنى (الذي) مع الفعل ...، وفيه عندي وجه آخر، وهو أنه لم يرد الألف واللام بمعنى (الذي)، ولا الألف واللام التي للتعريف، ولكن أراد (الذي) نفسها، فحذف الذال والياء وإحدى اللامين، لأنه رأى (الذي) يلحقها حذف، كقولهم: (الَّذِ، والَّذْ)" (السيرافي: 1989، 196–197).

هـ–حذف الاسم الموصول وإبقاء صلته:

اختلف البصريون والكوفيون في حذف الاسم الموصول؛ فالبصريون لا يجيزونه إلا في ضرورة الشعر (الأنباري: 1998، ج2/ 721) وذهب الكوفيون والبغداديون والأخفش إلى جوازه، وتبعهم ابن مالك، واشترطوا لجوازه أن يكون الموصول المحذوف معطوفاً على موصول آخر (الأنباري: 1998، ج2/ 722)، (ابن هشام: 2003، 717).

وعده ابن عصفور من ضرائر نقص الكلمة، وقال: "ومنه حذف الموصول وإبقاء صلته. وهو عند البصريين من الضرائر التي لا يقاس عليها لقبحها.....، وعند الكوفيين جائز في سعة الكلام" (ابن عصفور: د.ت، 182–183).

وحجة الكوفيين ورود ذلك كثيرًا في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: **{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}** [العنكبوت: 46] أي: والذي أنزل إليكم؛ لأن المنزل إلى المسلمين ليس هو المنزل إلى غيرهم من أهل الكتاب (حسن: 2004، ج1/ 357)، وقوله تعالى:**{لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ}** [الأنعام: 94] والتقدير: "لقد تقطَّع ما بينكم"، وقوله أيضًا: **{وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ}** [الجن: 11] ، أي: "ومنا مَنْ دون ذلك".

كما ورد ذلك في الشعر، نحو قول حسان بن ثابت:

أَمَنْ يهجو رسولَ الله منكُم وَيمدحُه وينصرُه سَواءُ ؟

والتقدير: (وَمَنْ يمدحه وينصره سواء)، فحذف (مَنْ) لدلالة الموصول المتقدم عليه.

وقول الآخر:

ما الذي دَأْبُهُ احتياطٌ وحَزْمٌ وهَواهُ أَطاعَ يستوِيانِ

والتقدير: (والذي أطاع هواه) (ابن هشام: 2003، 718).

وقد ورد حذف الاسم الموصول لدى الشاعرة في موضع واحد من قصيدة "شَجَنٌ مُوسِرْ"؛ حيث تقول:

"صَاحِبِي،
بَيْتَا حلُمْنَا
وانعكاسُ التَّرَاتيلِ في ثغرِ هذا السَّحَابْ.
بَيْتَا ما رَوَتْهُ المساءاتُ في صدرِ هذا الغِيَابْ،
بيننا ما ارتضَتْهُ المَوَاوِيلُ مِن شَجَنٍ مُوسِرٍ وعِتَابْ،
ولنا شُبهَةُ الرِّيحِ
مَا سَنَّا؟" (العريشي: 2017، 46).

والتقدير: (ما الذي سَنَّا؟).

ويبدو للباحثة أنه لا مانع من حذف الاسم الموصول؛ استنادًا لوروده في القرآن الكريم، وهذا وحده مسوغ كافٍ لجوازه في الشعر والنثر، كما أن حذفه مستساغ لوضوح تقديره وعدم وقوع اللبس بحذفه.

وسهل هذا الحذف وجود دليل على المحذوف في التساؤلات المتوالية بعده في القصيدة؛ حيث تتوالى تلك التساؤلات في تركيب نحوي مماثل للتركيب اللغوي الذي حذف منه الاسم الموصول (الذي)؛ فنجدها تقول:

"....ما الذي هَنَّا؟....

ما الذي خَزَّ في رئة الصبح –يا صاحِبِي– كلَّ هذا الظَّما؟

ما الذي في نهارِ وُعودِكَ قَدْ أظْلَما؟...

ما الذي بَعْثَرَ الياسَمينَ المدلَّى بِصَدْرِي، وأنبتَ في فَمِكَ العَلقَما؟" (العريشي: 2017، 46–47).

و– ترك جزم الفعل المضارع المسبوق بلمَّا الجازمة:

ذكر النحويون من أوجه (لَمَّا): أنها إما أن تكون ظرفًا بمعنى (حِين)، أو أن تكون حرف استثناء بمعنى (إلا) (الهروي: د.ت، 197)، (الإربلي: 1991، 423) أو أن تكون بمعنى (لم)، وهي حينئذ مختصة بالمضارع، فيقع بها جزمه، ونفيه، وقلبه ماضيًا كما تعمل (لم) (الاستراباذي: د.ت، ج4/ 85)، (ابن هشام: 2003، 307)، (الإربلي: 1991، 424)، وتعد (لَمَّا) من الأدوات التي تجزم فعلًا واحدًا، كقولك: (لَمَّا يَأْتِكَ زيدٌ) (ابن عصفور: 1999، ج1/ 133).

وقد تركت الشاعرة جزم الفعل المضارع المسبوق بلَمَّا النافية الجازمة، وذلك في موضع واحد؛ حيث تقول في قصيدة "لَمْ أُعْد أعرفُني":

"إني لَأَشعرُ يا أَبِي أني خُلقتُ بِدَمْعَتَين

أو أَنَّ أُخرَى في مَكَانٍ ما بِروحِي

أو بَعيدًا رُبَّما،

لَمَّا تَزَالُ لَفُتْنِي، وتدورُ بِي، وتَمُرُّ بِي

في لَا مَكَانَ ولا عَوالِمَ من حِكَايَاتِ الأَدِينْ" (العريشي: 2017، 54).

فالأصل: (لَمَّا تَزَلْ)، إلا أن ترك الجزم تسبب في تغير الحركة الإعرابية الظاهرة التي يفترض أن تحدثها (لَمَّا) الجازمة على آخر الفعل الناسخ الأجوف، فتحولت من السكون إلى الضمة، وترتب عليه إلغاء حكم صرفي يتعلق بحذف عين الفعل الأجوف لالتقاء الساكنين، لانتفائه بترك الجزم.

وقد تركت هذه الظاهرة النحوية بعدًا دلاليًّا يستدعيه صوت الحركة الطويلة (الألف) ويتمثل في الاستطالة والامتداد، وهو ما يسهم في التعبير عن استمرار النفي عن المنفي إلى الحال، مع توقع ثبوته، وهو أحد الفروق الدلالية بين (لَمَّا) و(لَمْ) الجازمتين (ابن هشام: 2003، 307–308)، فوجود الألف أسهم في التعبير عن الامتداد الزمني لنفي الاستقرار العاطفي الذي تفتقده الشاعرة، إلى حد شعورها بالضياع بين ذاتين، عبرت عنهما بقولها: "إني لأشعر يا أبي أني خلقتُ بدمعتين"؛ كما أن في المد بالألف إشعارًا للمتلقي بتصاعد حالة الضياع وعدم الاستقرار الذي تشعر به الشاعرة. كما كان للضمة التي ظهرت على آخر الفعل عندما ترك تسكينه بعدٌ مماثل يبدو من خلاله استثقال استمرار النفي عن المنفي، ويتأكد هذا الاستثقال بتمني الشاعرة عودة ذاتها القديمة؛ في قولها:

"لو كانت الأخرى هنا!" (العريشي: 2017، 54).

وفي هذا تأكيد على قوة الملكة الشعرية لدى الشاعرة، حيث مثلت للمتلقي الحالة التي أرادت إيصالها إليه كما تشعر بها؛ من خلال توظيف دلالة الصوت في صورة تناسب المعنى المقصود، وهو من الملامح اللغوية التي أشار إليها ابن جني في الخصائص، تحت ما سماه بباب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعاني (ابن جني: 1999، ج2/ 147، 154)، وعليه يمكن اعتبار ترك جزم الفعل المضارع بعد (لَمَّا) الجازمة من الظواهر النحوية التي أسهمت في خدمة المعنى الذي أرادت الشاعرة توضيحه.

ز- حذف همزة الاستفهام:

تعد حروف الاستفهام من الحروف الدالة على معانٍ، قال ابن يعيش: "لما كان الاستفهام معنى من المعاني لم يكن بد من أدوات تدل عليه، إذ الحروف هي الموضوعة لإفادة المعاني" (ابن يعيش: 1988، ج8/ 150).

ويفيد الاستفهامُ الجملةَ معنى الاختصار، وينوب عن الفعل (أَسْتَفْهِم)، شأنه كباقي الحروف الدالة على معانٍ؛ لذا كان حذفها مما يراه النحويون مخالفةً للقياس، ذكر السيوطي (السيوطي: 1993، ج1/ 57-58) قول ابن يعيش: "حذف الحرف يأباه القياس، لأن الحروف إنما جيء بها اختصارًا ونائبة عن الأفعال، فما النافية نائبة عن أُنفي، وهمزة الاستفهام نائبة عن أَسْتَفْهِم، وحروف العطف عن أَعْطِف، وحروف النداء نائبة عن أُنادي، فإذا أخذتَ تحذِفُها كان اختصارًا لمختصر وهو إجحاف" (ابن يعيش: 1988، ج8/ 116)، و(ابن جني: 2000، ج1/ 280)، و(ابن جني: 1999، ج2/ 275-276).

ولما كانت الهمزة هي الأم في باب الاستفهام، اُختُصَّت بخصائص عن سائر الأدوات، ومنها جواز حذفها (السيوطي: 1998، ج2/ 482).

ولم يكن حذف همزة الاستفهام موضع خلاف بين العلماء؛ بل كان موضوع خلافهم يدور حول دلالة الكلام على الاستفهام عند حذف الهمزة.

فمنهم من يرى عدم جواز حذفها بلا دليل، ومن هؤلاء المبرد، وقد جعله ذلك يخرج قول ابن أبي ربيعة في بيته:

ثُمَّ قالوا: تُحِبُّها قُلْتُ: بَهْرًا ... عَدَدَ القَطْرِ والحصَى والتُّرابِ

على أنه خطأ فاحش؛ حيثقال: قال قوم: أراد بقوله: (تُحِبُّها) الاستفهام، ..... وقالوا: أراد (أَتُحِبُّها؟)، وهذا خطأ فاحش، إنما يجوز حذفالألف إذا كان في الكلام دليل عليها، وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه، إن شاء الله. قوله: (تُحِبُّها) إيجابٌ عليه، غير استفهام؛ إنما قالوا: أنت تحبُّها، أي: قد علِمنا ذاك، فهذا معنًى صحيح لا ضرورة فيه، ...، وقوله: (قلتُ بهرًا) يكون على وجهين؛ أحدهمأنْ يكون أراد (بَهْرًا لكم)، أي: تَبًّا لكم حيث تلومونني على هذا (المبرد: 2003، 427-428). ووافقه ابن عصفور؛ إذ يقول عن بيت أبي ربيعة السابق: "فليس على حذف الهمزة كما ذهب إليه بعضهم، لعدم الدليل على ذلك، وإنما قالوا له: أنت تُحبُّها، قد عَلِمنا ذلك وتحقَّقناه منك" (ابن عصفور: د.ت، 159).

وجعل ابن عصفور حذف همزة الاستفهام مربوطًا بأمن اللبس للضرورة (ابن عصفور: د.ت، 158).

أما ابن جني فيقول في قول ابن أبي ربيعة السابق إنَّ: "أظهر الأمرين فيه أن يكون أراد: أَتُحِبُّها؟ لأن البيت الذي قبله يدل عليه، وهو قوله:

أَبرَزُوها مثلَ المهاةِ تَهادَى ... بين خَمْسٍ كَواعِبٍ أَتْرابِ

ولهذا ونحوه نظائر، وقد كَثُرت" (ابن جني: 1999، ج2/ 283).

وهناك فئة أخرى من العلماء أجازوا حذف همزة الاستفهام على السواء؛ أي: بدليل وبغير دليل، ومنهم ابن هشام، إذ يقول: "والألف أصل أدوات الاستفهام، ولهذا خُصَّت بأحكام، أحدها: جواز حذفها سواء تقدمت على (أم) ..... أم لم تتقدمها" (ابن هشام: 2003، 21).

وقد ورد حـ ذف همزة الاستفهام في ديوان الشاعرة مرة واحدة، وذلك في قصيدة "كُنْ قَرِيبًا مثل أَمسِي"؛ حيث تقول:

"في وَطْأَةِ الخَوْفِ الجَسِيمِ،
وعِنْدَ أُروقَةِ الضَّيَاعِ،
وفي زَمانِ الخنجرِ المسمُومِ،
أَيْنَكَ؟
غَادَرتْكَ الأُمنِيَات؟" (العريشي: 2017، 60).

ويسيطر على القصيدة شعور الخيبة؛ الذي يمكن للمتلقي إدراكه في الاستفهام الإنكاري، والعتاب الموجه للطرف الآخر في التجربة العاطفية التي مرت بها الشاعرة، وهو ردة فعل عاطفية قابلت بها الشاعرة تصرف الانسحاب الذي قام به الطرف الآخر، حين احتياجها إلى الاستناد عليه، في لحظات اشتدت عليها وطأة الخوف والضياع، في زمن النفاق (زمان الخنجرِ المسموم)، ثم يأتي الاستفهام الأول (أَيْنَكَ؟) الذي تظهر به نغمة البحث عن مسوغات لرحيل الطرف الآخر، واكتفت الشاعرة في السياق الذي يليه بحذف همزة الاستفهام مع الإبقاء على معناه، وقد يفهم القارئ معنى الاستفهام من خلال النغمة الاستفهامية التي يراد منها العتاب والإنكار، فقد تغني النغمة الاستفهامية بما لها من صفة وسيلة التعليق عن أداة الاستفهام، فتحذف الأداة ويبقى معنى الاستفهام مفهومًا من البيت. (حسان: 1979، 227).

إلا أن حذف همزة الاستفهام والاعتماد على فهم القارئ لها من خلال التنغيم يحتاج من القارئ إلى فطنة وفكرة ليتوصل إلى مواطن حذف هذه الأداة، فإن استطاع التوصل إليها نَغَّم تنغيمًا يغني عنها بلا ريب، إلا أن عدم وجود شكل كتابي لقرينة التنغيم قد يجعل التوصل إلى مواطن حذف أداة الاستفهام أمرًا تشوبه الصعوبة (صقر: 2000، 318).

ويظهر خلف حذف همزة الاستفهام في: "غَادَرتْكَ الأُمنِيَات؟" بُعدٌ دلالي؛ إذ إن العبارة الاستفهامية تنتهي بصوت صاعد (كوين: 1985، 93) فيه حِدَّة؛ فتختلف بهذه الخاصية في الأداء عن العبارة الإخبارية؛ التي تنتهي بصوت هابط، فحذفت الشاعرة همزة الاستفهام لتتجنب حِدَّة الاستفهام المباشر، وتبتعد بالعبارة عن الانفعال الصاعد، وتكسبها نغمة هادئة هابطة تتناسب مع شعور الخيبة الذي تشعر به، والعتاب الذي أظهر الاستنكار بهدوء، وهذه النغمة الهادئة تظهر احتفاظ الشاعرة بوقارها أثناء العتاب، وفي الوقت نفسه تضمنت معنى الاستفهام الإنكاري.

ح- دخول أداة النداء على ضمير الرفع للمخاطب:

من المسائل النحوية التي لم يجزها جمهور البصريين: مناداة الضمير، وهي مسألة وضحها السيوطي بقوله: "لا ينادى الضمير عند الجمهور، وأما ضمير الغيبة والتكلم فلأنهما يناقضان النداء، إذ هو يقتضي الخطاب، وأما ضمير المخاطب فلأن الجمع بينه وبين النداء لا يحسُن، لأن أحدهما يُغني عن الآخر" (السيوطي: 1998، ج2/ 35- 36).

فالمانع من مناداة المضمر عدم صلاحيته اللغوية والمعنوية لأداء معنى المنادى، إذ إن النداء "توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلم" (حسن: 2004، ج5/4)، فلا ينادى ضمير المتكلم ولا ضمير الغائب؛ لأن النداء ينافي وضعهما، ولا ينادى ضمير المخاطب؛ لعدم تحمله خطابًا آخر.

ولا خلاف بين النحويين في عدم جواز نداء ضميري التكلم والغيبة؛ فلا يقال: (يا أنا، يا إياي، يا هو، يا إياه)، إنما كان خلافهم في نداء ضمير الخطاب (الغلاييني: 2011، 493).

واختار أبو حيان منعه (أبو حيان: 1998، ج4/ 2183).

وقصره ابن عصفور على ضرورة الشعر؛ إذ يرى أن الأسماء كلها يجوز نداؤها إلا المضْمرات، والأسماء المعرَّفة بالألف واللام، والأسماء غير المتصرفة، والأسماء اللازمة للصدر. وقد ينادى المضمر المخاطب في نادر كلام، أو ضرورة شعر، وتكون صيغته صيغة المنصوب؛ نحو ما حكي من قول بعضهم: (يا إيَّاكَ قَدْ كَفَيتُكَ)، وقد تكون صيغته صيغة المرفوع؛ نحو قوله:

يَا أُبْجُو ابنَ أُبْجِرٍ يَا أُنتَا أُنتَ الذِي طَلَّقْتَ عَامَ جُعْتَا (ابن عصفور: 1998، 242-243).

وورد نداء ضمير الرفع للمخاطب في ديوان الشاعرة مرة واحدة في قصيدة "تَسَاؤلاتْ"، حيث تقول:

"وأُحِسُّ رَجْعَ الهَمْسِ في صَخَبِ المَوانِئِ
حيثُ يرسُو الدَّمعُ مَكْسُوًّا بِملحِ
فوقَ جرحِ العاشِقِيْنْ..
يَا أَنْتَ ! كَم أَرَّقْتَ قَلبِي
ضَارِبًا بالنَّبْضِ أعماقَ الأَنِينْ" (العريشي: 2017، 62).

ويبدو للباحثة أ ن مناداة المخاطب بضميره في بيت الشاعرة يتضمن معنًى خفيًّا زائدًا عن المعنى الأصلي للنداء؛ وهو ارتباطه بجانب نفسي وشعوري ووجداني أرادت فيه الشاعرة استحضار كثرة الضربات الموجعة التي سددها المخاطب لقلبها، فكان نداء المخاطب بضميره أبلغ في نقل الإحساس بكمية النقمة عليه، إلى درجة التضجر من مناداته باسمه أو وصفه.

الخاتمة:

بعد أن عرض البحث الظواهر النحوية في ديوان "إلا الثواني الخالدة" للشاعرة السعودية سهام العريشي خلص إلى النتائج التالية:

-إن نشوء هذه الظواهر النحوية في الشعر يؤكد حيوية النحو العربي، وعدم اقتصاره على الشكل والإعراب، ويؤكد العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، وهو ما نبه إليه ابن جني في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، أو إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

-أسهمت تلك الظواهر النحوية في تلمس الأبعاد الدلالية التي ترمي إليها الشاعرة في الديوان.

-إن تلك الظواهر النحوية تفتح الباب لاستخدامات لغوية معاصرة؛ مثل: وضع الضمير المتصل بدل النَّفْس، ومناداة المخاطب بضميره.

-إن مناداة المخاطب بضميره أمر غير صالح لغويًّا؛ ولكنه أسهم في إبراز الجانب النفسي والوجداني لدى الشاعرة في تجربتها العاطفية.

-إن حذف همزة الاستفهام أسهم في التخفيف من حدة العبارة الاستفهامية، وأكسبها نغمة هادئة تتناسب مع المعنى المراد في موضعه.

مراجع البحث:

الشنقيطي، أحمد بن الأمين ، (1999م)، *"الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع"*، تحقيق: محمد باسل عيون السود (ط.1). دار الكتب العلمية، بيروت.

المالقي، أحمد بن عبد النور، (2002م)،" *رصف المباني في شرح حروف المعاني"*، تحقيق: أ.د. أحمد محمد الخراط (ط.3). دار القلم، دمشق،.

السيرافي، الحسن بن عبد الله أبو سعيد، (1989م)، " *ما يحتمل الشعر من الضرورة*"، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي (ط.1)، جامعة الملك سعود، الرياض.

المرادي، الحسن بن قاسم، (1992م)، " *الجنى الداني في حروف المعاني*" تحقيق: د. فخر الدين قباوة؛ وأ. محمد نديم فاضل. (ط.1). دار الكتب العلمية، بيروت،

حسان، تمام، (1979م)، " *اللغة العربية معناها ومبناها*"، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كوين، جون، (1985م)، " *بناء لغة الشعر*"، ترجمة: أحمد درويش، (د.ط)، ، مكتبة الزهراء.

العريشي، سهام أحمد، (2017م)، " *إلا الثواني الخالدة*"، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

حسن، عباس، (2004م)، " *النحو الوافي*"، (ط.1)،آوند دانش للطباعة والنشر .

الأنباري، عبد الرحمن أبو البركات بن محمد بن أبي سعيد، (1998م)، " *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (د.ط). المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا–بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (1998م)، *"همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"*، تحقيق: أحمد شمس الدين (ط.1). دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (1993م)، " *كتاب الأشباه والنظائر*"، تحقيق: د. فايز ترحيني (ط.2)، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن هشام، عبد الله الأنصاري، (2003م)، *"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

الفوزان، عبد الله صالح، (2009م)، *"دليل السالك إلى ألفية ابن مالك"*، (ط.1). دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام.

ابن عقيل، عبدالله الهمداني، (2002م)، " *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

ابن جني، عثمان أبو الفتح، (1999م)، " *الخصائص"*، تحقيق: محمد علي النجار (ط.4)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن جني، عثمان أبو الفتح، (2000م)، " *سر صناعة الإعراب*"، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل؛ وأحمد رشدي شحاتة عامر (ط.1)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الإربلي، علاء الدين بن علي، (1991م)، "*جواهر الأدب في معرفة كلام العرب*"، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب (ط.1). دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الهروي، علي بن محمد، (د.ت)، " *الأزهية في علم الحروف"*، تحقيق: عبد المعين الملّوحي (د.ط)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، (1998م)، "*شرح الأشموني على ألفية ابن مالك*"، تحقيق: حسن حمد، إشراف: د. إميل بديع يعقوب (ط.1). دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عصفور، علي بن مؤمن، (1999م)، "*شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)*"، تحقيق: د. صاحب أبو جناح (ط.1). عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ابن عصفور، علي بن مؤمن، (د.ت)، "*ضرائر الشعر*"، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت.

ابن عصفور، علي بن مؤمن ابن علي الحضرمي الإشبيلي، (1998م)، "*المقرّب ومعهُ مُثُل المقرّب*"، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ وعلي محمد معوّض (ط.1)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الاستراباذي، محمد بن الحسن رضي الدين، (د.ت)، "*شرح الرضي على الكافية*"، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب (د.ط)، قديمي كتب خانة.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، (1967م)، "*تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد*"، تحقيق: محمد كامل بركات (د.ط)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر.

ابن مالك، محمد بن عبد الله بن محمد، (2000م)، "*شرح الكافية الشافية* "، تحقيق: علي محمد معوّض؛ وعادل أحمد عبد الموجود (ط.1). دار الكتب العلمية، بيروت.

المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس، (2003م)، "*الكامل في اللغة والأدب*"، (ط.1). دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (1998م)، "*ارتشاف الضرب من لسان العرب*"، تحقيق: د. رجب عثمان محمد؛ ومراجعة: د. رمضان عبد التواب (ط.1). مكتبة الخانجي، القاهرة.

صقر، محمد جمال، (2000م)، "*علاقة عروض الشعر ببنائه النحوي*"، (ط.1). مطبعة المدني، مصر.

ابن مالك، محمد عبد الله، (1990م)، "*شرح التسهيل*"، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد؛ ود. محمد بدوي المختون (ط.1). هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة.

العيني، محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين، (2005م)، "*المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية*"، تحقيق: محمد باسل عيون السود (ط.1). دار الكتب العلمية بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر، (د.ت)، "*المفصّل في علم العربية*"، (د.ط)، دار الجيل، بيروت.

الغلاييني، مصطفى، (2011م)، "*جامع الدروس العربية*"، (ط.1). دار ابن حزم، بيروت.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (1988م)، "*شرح المفصل*"، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك (ط.1). عالم الكتب، بيروت.